

بغداد هوية المكان عند شمس الدين الكوفي (٦٧٥ هـ)

د . تغريد عدنان محمود الربيعي (مدرس)

جامعة بغداد / كلية التربية للعلوم الصرفة / ابن الهيثم

الملخص

نجد في تراثنا الشعري الذي أبدعه الشعراء تجارب شعرية دارت مع الحياة الوجدانية والاجتماعية والسياسية عبرت عن هموم الناس ، ومنها رثاء المدن ولاسيما بغداد مهد العلم والأدب ، فلم تكن بغداد مجرد اسم لمدينة عربية ، انما هي المخزون الحضاري والتاريخي الذي أفرزته الحضارات الآشورية والآكدية والبابلية . فكان الاسم ولما يزل ذا دلالة تاريخية حضارية ، والشاخص الثقافي الذي تدور حوله ثقافة العرب .

ارتبطت بغداد بأذهان الناس ، فهي يشار إليها بالبنان لما تحمله من مشاعر سكنت نفوس كثير منهم ، فالأسى والشجن الذي طفا على سطح مشاعر الناس في بغداد كان يجسد حالة طبيعية من علاقة العشق بين الإنسان والمكان بكل ملامحه . فالحنين إلى بغداد هو حنين الروح إلى المكان ، وحنين بغداد إلى الروح . غير ان الروح والمكان يمتزجان ويتخذان من بغداد رمزاً للنهوض وعودة الحياة فيها .

غدت المدينة كياناً له معنى ووجود في النفوس عامة ولاسيما الشعراء الذين عبروا عنها بصور صادقة وصفحات مشرقة تفيض حزناً وألماً تعبر عن صدق المعاناة ، وقد وقع الاختيار على شعر شمس الدين الكوفي لما يعبر شعره عن حال المدينة عندما يدخلها الغزاة ويفعلون ما يفعلون ، فضلاً عن ذلك انها قصائد تعبر عن حقبة زمنية مهمة مرت بها الدولة العربية الإسلامية، ونهضة شعرية؛ لذلك عُدَّ شعره وثيقة تاريخية ، ومصدراً مهماً من مصادر دراسة القرن السابع للهجرة ، بكى فيه الدولة العباسية ، والمدينة المنكوبة . زيادة على ذلك انه من

أروع ما قيل في الشعر العربي في رثاء بغداد . لذا سنناول شعره بالدراسة والتحليل لهذه المدينة الزاهية التي طمع الغزاة فيها ، المدينة التي عُرفت بعلمها ومجدها ألا تستحق ذلك ؟

بغداد

كانت المدن وما تزال مفاهيم ثقافية أكثر من كونها مواضع جغرافية أو تاريخية ، ومن هذه المدن ذات الشاخص الثقافي (بغداد) عاصمة الخلافة الإسلامية ، وجوهرة مدن الشرق والحضارة العربية ، التي كانت انعكاسا للفكر الإسلامي والتاريخي والحضاري بكل ما تحمله من ملامح وخصائص

كانت بغداد قديما قرية صغيرة تقام فيها سوق عظيمة نهاية كل سنة ^١ . والغريب أن تتغير الحقب التاريخية على أرض الرافدين ، وتتعاقب الأجيال والشعوب لتتحول بغداد إلى مركز العالم الإسلامي . فقد احتفظ العراق ولا سيما بغداد بخصائص تميزه من الأقاليم كافة ، لأنه مركز الحضارات القديمة التي ترجع أصولها إلى الاف السنين ^٢ .

وفي لفظة بغداد لغات ، منها : بغداد ، بغداذ ، بغدان ، مغدان ^٣ . ومغداد ، مغذاذ أيضا ^٤ ، فقد كانت تعرف ببغداد منذ أيام البابليين ^٥ ، واسمها مدينة السلام " تيمنا بالجنة وتشبيها لذكر الله الوارد في القرآن الكريم " ^٦ . أما الزوراء فمدينة المنصور خاصة ^٧ ، يروى عن الأصمعي انه كان يكره اسم بغداد لأن معناها أعطية الصنم ^٨ .

عرفت بغداد عزاً منذ بناها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ ^٩ فقد شهدت توسعاً وعمراناً كبيرين وازدهاراً تجارياً يتناسب مع طبيعة الوظيفة التي مثلتها ، فهي وسط الدنيا وسرة الأرض والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها ^{١٠} ، بل هي الدنيا مجتمعة كما وصفها الإمام الشافعي ^{١١} .

تبوأَت بغداد مكانة سياسية مرموقة بوصفها عاصمة الدولة العباسية القوية الممتدة من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، وأدت دوراً إيجابياً فاعلاً في حياة الدولة الإسلامية ، وفي تاريخ المنطقة ، فقد تميزت بالتفاعل الخصب مع حضارات الآخرين ، وأصبحت إحدى

مدن العالم الكبيرة وأجملها تزيّنت بالعلوم والمعارف ، فقد كانت ملتقى العلماء وقبلة الدارسين من شتى بقاع العالم .

دلالة المكان في الشعر

علاقة الإنسان بالمكان علاقة تفاعلية ، تجسد حالة طبيعة من علاقة العشق بينه وبين المكان ، وهي حالة تترجم حنين الإنسان إلى المكان الذي يسكنه بكل ملامحه ، ومن ثم يسكن قلبه انه الحنين الذي لا يستطيع الإنفكاك عنه .

حب المدينة - المكان - شعور قديم قدم الإنسان ، إذ إنها " ظهرت في بلاد الشرق الأوسط منذ أقدم الأزمنة " ^{١٢} ، فالإنسان من دون مكان لا شيء ، والمكان من دون إنسان عبارة عن أرض ممتدة جامدة ، فعلاقة الإنسان بالمدينة علاقة انتماء وتфанٍ وتضحية .

وفي النماذج الأدبية ثمة نوعان من الأمكنة ، المكان الذي لا يمثل قيمة في نفسه ، فيتخذه الشاعر إشارة عابرة هامشية لا يتمتع بأي هوية ما . والنوع الآخر من الأمكنة التي تتفاعل فيها الشخصيات مع تراب أرضها ويقيم معها علاقات وشيجة ، فللمكان أهمية كبيرة " في تشكل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته منذ مراحل المبكرة ومن هذا الارتباط يبرز الوعي والاحساس عند الفرد بالانتماء الى الفضاء المحدد " ^{١٣} ؛ لذا لا يمكن فصل الحديث عن المكان من دون الإشارة إلى الشخصيات التي ارتبطت بحوادث معينة مرت بها تلك المدينة . فقد توجد أمكنة تكتسب أهميتها الحضارية والثقافية من تاريخ شخصياتها وانجازاتهم العظيمة التي خلدها التاريخ والشعراء ، ومن هذه المدن العريقة (بغداد) .

ونتيجة لهذه العلاقة الوثيقة بين الإنسان والمدينة ، فقد عمل الإنسان ولاسيما الشعراء على استيعاب الأحداث التي استفزت دواخلهم ، وأثرت بانفعالاتهم وآمالهم وعواطفهم ، فيتحول المكان عندهم إلى قيمة إنسانية يختلف بها عن سائر الأمكنة الأخرى " فكل مدينة شخصيتها وروحها المميزة لها عن غيرها من المدن الأخرى ، تبعا لتمييز عادات وتقاليد وحاجيات ساكنيها ونشاطاتهم ، حتى موقعها الطبيعي " ^{١٤} . فالمكان - المدينة - عالم واسع يكتسب أهميته من دوره في بناء شخصية الإنسان ، فضلا عن دوره التاريخي في الحياة بشكل عام ؛ لذا

يوظف الشاعر المكان في شعره يذكر الأوطان والظروف التي مرت بها ، ومن خلال هذا التوظيف الفني للمكان تأتي تعبيرات الشاعر من مكانن نفسه بازاء الحياة ، فيتحرك في مدار شعري يشهد احداثا وتطورات يتعرض حينها لمواقف ونكبات يجابهها بالصبر تارة وبالبكاء تارة أخرى . وعليه فالمكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعا للهوية الذاتية والحضارية . فالمكان هو الحدث الرئيس والبؤرة الوحيدة التي يتنفس من خلاله الشعراء ، فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه ؛ لذا فان ارتباط الإنسان بالمكان واضح في كل المجتمعات ، فالإنسان يقبع في بوتقة المكان وتشكل الأماكن المحيطة به هاجساً له ، وهويته التي تحدد مكانه الذي يثيره بالتحديد ، بل أصبحت جزءاً من حياته^{١٥}.

رثاء المدن

الرثاء شعر يعبر من خلاله عن موقف ذاتي ، فهو تعبير بطبيعته ينفس عن لواحق النفس وانفعالاتها ازاء موقف ما - إنسان أو مدينة - .

إن تاريخ الرثاء قديم منذ الأزل ، رافق تاريخ الإنسان وسلوك طريقه في الألسنة واللغات كلها ، ولاسيما في اللغة العربية . فهو فن قديم في الشعر العربي عبر الشعراء فيه عن مشاعرهم الذاتية من خلاله ؛ لأن صور المأساة شغلت نفس الشاعر أكثر من غيره ، فيجاء شعره دمعاً حاراً موجعة ألماً وحزناً على ما تفجع به .

أما معاني الرثاء فقد حددها أحد الدارسين بثلاثة أنواع : " الندب ، التآبين ، العزاء " ^{١٦} ، ثم صنف رثاء المدن ضمن باب الندب ، فظاهرة رثاء المدن تنوع موضوعي جديد ظهرت ملامحه في العصر العباسي ، إذ أصبح له أهمية خاصة لدى الباحثين والدارسين لما يحمله من تصوير صادق للواقع ، ونقل أمين للأحداث ، فـ " الدول العربية التي سقطت في خلال التاريخ الوسيط كثيرة " ^{١٧} ، والإحساس بالمدن أصبح أكثر عمقا وشعورا عند الإنسان فـ " تجددهم يرثون مدنهم التي يسكنونها إذا جارت عليها عواذي الزمن " ^{١٨} ، أو حين تحل بالمدينة كوارث النهب والحرق ^{١٩} و يقول دارس آخر " برز في العصر العباسي اطار جديد للرثاء هو رثاء المدن وقد كان جديدا بكل معاني الكلمة ، إذ إن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل

الذي توطدت به في العصر العباسي . هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تشهد المدن الإسلامية قبل هذا العصر من الدمار والتخريب ما شهدته بعض مدن العراق في هذا العصر " ٢٠ . إننا نحس من خلال أرائهم ان هذا الضرب الجديد من الرثاء لم يكن يظهر لولا الدمار والتخريب الذي لحق مدنها ، ونحس بالألم والحزن والأسى الذي عم الناس نتيجة لانهدام مجد العروبة والإسلام وعزهما . ومن هنا اكتسب موضع ندب المدن دلالة الفنية ، وقيمتها التاريخية من الحروب والكوارث التي أصيبت بها مدن الدولة الإسلامية .

الرثاء إذن هو غرض شعري نبعت سماته وأفكاره من طبيعة الاضطراب السياسي ، والفتن والحروب ، فكان مجال إبداع . ومن هنا أصبح بكاء المدن فناً شعرياً أصيلاً وجدت دوافعه في بلاد المشرق العربي ، وتخصصت تلك الحقبة - العصر العباسي وما بعده - وتفردت إذا صح التعبير بوصفه فناً عدّ من روائع الأدب العربي . لأن المكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعاً للهوية الذاتية القومية والحضارية ، ويشكل كيانه مستقلاً للإنسان .

عرفت بغداد قدراً من هذا الرثاء ، عندما تعرضت الخلافة العباسية للتدمير والخراب . وقد أطلق أحد الباحثين على الشعر المرافق لهذه الأحداث مصطلح (أدب النكبة)، وهو " التعبير عن الفجيعة أو للدلالة على المصيبة التي تحل بالفرد وأسرته أو بالجماعة والأقوام والممالك " ٢١ . وقد تعرضت عاصمة الخلافة العباسية لنكبات ، أولها كانت سنة ١٩٧ هـ ، بسبب الفتنة التي حدثت بين الأخوين الأمين والمأمون ٢٢ . وقد رافق الشعر هذه الأحداث في كتب التاريخ ، فالشعراء هم أول من يتأثر بالصراعات والاضطرابات السياسية ، فبرزت مطولات وقصائد تبكي بغداد وما حلّ بها ، حملة وزر الأحداث على مُشعلي الفتنة بين الحكام ، ومن تلك المراثيات رائعة أبي يعقوب الخريمي التي يقول فيها :

قالوا ولم يلعبُ الزمانُ بـبَغْدَادَ وتعثّر بها عواثرها

إذ هي مثلُ العروس باطنها مشوق للفتى وظاهرها

جنةٌ خلّدت ودار مغبظة قلّ من النائبات واترها

درّت خلوف الدنيا لساكنها وقلّ معسورها وعاسرُها ٢٣

والنكبة الثانية كانت سنة (٢٥١ هـ) في الحرب بين المسعنين والمعتز^{٢٤} ، وان هذه الحرب انما " هي صراع القادة الأتراك على النفوذ والسلطة " ^{٢٥} ، والنكبة الثالثة كانت سنة (٣٣٠ هـ) على يد البريديين ، الذين ثاروا في بغداد وأحرقوا ونهبوا ^{٢٦} . وكان للشعر دور مرافق لهذه الأحداث ^{٢٧}

أما النكبة الكبرى التي لحقت بالدولة العباسية فكانت حين اجتاحت التتار بغداد سنة (٦٥٦ هـ) ^{٢٨} وعمدوا الى تخريبها والعبث بأرواح سكانها فدمروها وهدموا كثيرا من معالمها الحضارية ، وما زالوا في قتل ونهب ، وحرق لخزائن الكتب ، ولكثير من المواقع الشريفة في هذه الواقعة وأفنوا تراثها الأدبي والعلمي ^{٢٩} ، " واستمر القتل والسبي نيفا وثلاثين يوما فقل من نجا " ^{٣٠} .

إن هذه الأحداث التي تعرضت لها بغداد كانت بسبب الصراع على السلطة ، فضلا عن القوى الأجنبية التي حاولت أن تثير الفتن والصراعات الداخلية ، وتعمل على تفكيك أوصال الدولة ، وتحول مقاليد الأمور والحكم إليها .

شمس الدين الكوفي

شمس الدين محمد بن احمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ الأديب ، من شعراء العصور المتأخرة ، ولد سنة 623 هـ في اسرة كريمة * ، كان أديبا فاضلا عالما شاعرا وفقهيا واعظا ، له شعر حسن جيد ، مارس مهنة التدريس ^{٣١} . حريص على الإسلام والمسلمين فقد كان يحث الناس على التعاون والتعاقد ، والوعظ والتمسك بمبادئ الدين ^{٣٢} . فاستطاع أن يتبوأ مكانة مرموقة بين علماء بغداد وخطبائها وعلمائها ، وقد توفي سنة (٦٧٥ هـ) وكان عمره نحو اثنين وخمسين سنة . له شعر رقيق يميل إلى الحنين والموعظة ، ويتميز بعذوبة ألفاظه وسهولة معانيه .

إن الدراسات التي تناولت هذا الشاعر قليلة موازنة بمادة شعره الغنية التي تعود الى مرحلة مهمة من مراحل التاريخ ، إذ إن المتصفح لمصادر هذه المرحلة يجد شعرا لهذا الشاعر وغيره من الشعراء مبثوثا في أمهات الكتب لاسيما التاريخية . فثمة ظاهرة لافتة للنظر من ان أشعار تلك المرحلة نجدها في كتب التاريخ أكثر مما نجدها في كتب الأدب . وربما نعلل هذه الظاهرة

ان الكتب التي ألفت عن هذه المرحلة كان جُلّ اهتمام أصحابها التركيز على الحوادث التاريخية - النكبة - التي دهمتهم وأذهلت عقولهم وعلى الشعر المرافق لها ، فضلا عن أبرز الأعلام والشخصيات السياسية والتاريخية الذين عاصروا تلك الحقبة الزمنية ؛ لذا ضاعت أشعار ، وأحرقت كتب .

وجُلّ هذه الدراسات تتحدث عن بكاء الشاعر لبغداد بكاء صادقا عبر فيه عن مشاعره وأحاسيسه وهو يرثي الخلافة ويتوجع للمصاب ، فكانت قصائده في الرثاء تجسيدا للوعة التي هزت البلاد ، وتمكن أيدي الأعادي من الأحبة والأصحاب ؛ لذلك فان رثاء بغداد هو رثاء للمجد الذي أستبيح ، وللفكر الذي أنتهك ^{٣٣} ؛ لذا أطلق عليه أحد الباحثين اسم شاعر النكبة لكثرة شعره الحزين الذي نظمته في رثاء هذه المدينة الخالدة وتذكره إياها حتى مماته ^{٣٤} .

كان للشعراء دور مهم في التعبير عن ألم المأساة والحدث الذي نزل ببغداد والدولة العباسية . وكثيرة هي القصائد التي قيلت في رثاء بغداد في ذلك الوقت ^{٣٥} ، لكن أكثرها شهرة وألماً قصائد شمس الدين الكوفي ، التي تدور على بكاء المدينة المنكوبة ، ودولة بني العباس ، وبتلويح خفي وصف الفضائح التي ارتكبتها التتار ، سلك فيها مسلك المقيم الذي أضناه العشق ، فقد اقتطع بكاءه عليهم من فؤاده ^{٣٦} . وبحق كان شعره وثيقة تاريخية تكشف عن حقبة مهمة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، لذا لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاهل شعره ، فهو يبحث في المكان حتى يبرز الهوية الثقافية لديه ، لان المحيط البيئي في المكان يمثل ملامح الخصوصية التي تشكل هويته الثقافية ^{٣٧} .

شكلت بغداد لدى الكوفي عالما متجذراً في نفسه ، وأسبغت على رؤاه مسحة طاغية من الحنين أخذت حيزها في ذاته ، لذلك فان الارتباط الصميمي ببغداد - المدينة - التي نشأ فيها كان مبعثه الأول كونها هي التي منحته الحياة والمعاناة ؛ لذا راح يرثيها أسفا على فردوسه المفقود وعلى ضياع أهلها وتشتتهم بعد أن عصفت رياح الزمن به وببغداد .

لذا برزت (بغداد) عند شاعرنا الكوفي مدينة حضارية لها أهميتها ، فقد حدد ان انتماء الإنسان إليها هو انتماء صميمي نابع من طبيعة المدينة التي تستقطب الناس إليها من كل حذب وصوب ،

بغداد الحضارة والثقافة التي لما تزل حاضرة في روحنا وضميرنا وأخلاقنا . أي ان الشاعر يريد ان يضعنا أمام رؤية تاريخية ، وقد حدد الجزء التاريخي من قصائده بتأطيرها بمكان محدد الهوية هو مدينة بغداد في القرن السابع الهجري .

وعليه سنتناول قصائد الشاعر الكوفي في رثاء بغداد من خلال تقسيمها على لوحات لغرض دراستها وتحليل مادة شعره الغنية بالتفاصيل والأحداث ؛ لذا أرتأينا وضع عنوان لكل قصيدة حسب أهمية الموضوع المشار إليه ، مع انها جميعا تصب في البكاء واللوعة لفقد المكان وفراق الأحباب .

البكاء على المكان

يمكن تقسيم هذه القصيدة على لوحات عدة ، أولها :

عندي لاجل فراقك ————— م ألام فالإم أعذل فيك ————— م وألام^{٣٨}

من كان مثلي للحبيب مفارقا ————— لا تعذلوه فالكلام كلام

نعم المساعدُ دمعي الجاري على ————— خذني الا انه نمّام

ان كنت مثلي للأحبة فاقدا ————— أو في فؤادك لوعةٌ وغرام

تشكل لوحته الاولى مقدمة شوق ولوعة وغرام ، لأن الأسى والشجن الذي طفا على سطح مشاعر الناس في بغداد كان يجسد حالة طبيعية من الترابط والتلاحم ، فالعلاقة بين الانسان ومدينته علاقة جدلية حميمة نجد جذورها في الوجدان ، كما ان الشعراء هم أكثر تأثراً بالأحداث، فيصور الكوفي حزنه العميق وألمه الكبير لفراق الحبيب بأبيات تعكس مشاعره الشخصية وما يقاسيه ويعانيه من لوعة البعد فيوظف ضمير المتكلم ، أي ان قسوة الحدث ومرارة الغصة التي تجرّعها بهذه المصيبة طفت على مشاعره وتكلم عن نفسه وما عاناه بسببها ، وهو في توظيفه صفة التفرد (مثلي للحبيب مفارقا) أي انه حدد ان الحبيب واحد هو المدينة (بغداد) التي شخصها بالحبيب ، وعندما يقول : (كنت مثلي للأحبة فاقدا) جمع المدينة وأهلها وهي ديار الضاعنين . كما ثمة ظاهرة نلاحظها في هذه المقدمة هي ان نظرة الشاعر إلى الشعر

الجاهلي نظرة تقديسية في احتذاء اسلوب مقدماتهم من استهلالها بالبكاء والوقوف على آثار الديار ، أسعف هذا المخزون الفكري التراثي في بكائياته وهذا ينم عن مدى التأثير والتأثير في بنية القصيدة ونهجها على اسلوب القدماء .

اللوحة الثانية التي يقف على عتباتها هي الديار وساكنوها :

قف في ديار الضاعنين ونادها " يادارُ ما فعلت بك الأيام "
أعرضتُ عنك لأنهم مُدَّ أَعْرَضُوا لم يبقَ فيك بشاشة تستامُ
يا دارُ أين الساكنون وأين ذيُّ الكَ البهَاءِ وذلك الاعظامُ
يادرُ أين زمان ربعك مُونَقَا وشعارك الإجلالُ والإكرامُ
يا دارُ مُدَّ أَقْلَتْ نَجْوَْمُكَ عَمَّا والله من بعد الضياءِ ظلامُ
فلبعدهم قَرَبَ الرَّدَى ولفقدهم فَقَدَ الهُدَى وتزلزلَ الإسلامُ
فمتى قبلت من الأعادي ساكنًا بعد الأحبابِ لا سَقَاكَ غمامُ
يا ساداتي أما الفؤادُ فشَيِّقٌ قلقٌ وأما أدمعي فسَـجَامُ
والدارُ مُدَّ عَدَمَتْ جَمَالَ وجوهكم لم يبقَ في ذاك المقام مقامُ
لا حَظَّ فيها للعيونِ وليس للـ أَقْدَامِ في عرصاتها إقدامُ

إن مفهوم المدينة بوصفها تجمعاً بشرياً يعتمد أصلاً على رابطة المكان الذي كان الركيزة الأساسية التي انطلق منها الشاعر الكوفي، فيستدعي في لوحته الثانية الفعل (قف) اسلوب الأمر في روايته للحدث ، لان الأمر مرتبط بالأرض التي دمّرت وخرّبت فهنا يجب الوقوف عليها ولا ندع هذا الحدث الجلل يمر سريعا ، بل الزم الوقف والتوقف ، كما انها دعوة للتأمل في تلك الحواث التي مرت بها الأمة العربية الإسلامية والتفكر جيدا بأسبابها ونتائجها . ثم يعود هنا إلى صفة التفرد - الخصوصية - بقوله : (يا دار ما فعلت بك الايام) ، فهو لم يصرح باسمها على وجه الحقيقة انما ترك الخيال للقارئ - أي دار- بما توحى هذه اللفظة من معان مؤلمة في النفس بسبب حوادث الايام التي استمرت قرابة أربعين يوما فكان توظيف الشاعر قول أبي نؤاس تعزيزا لفكرته التي عرضها في هذه القصيدة .

كما يوظف الشاعر الكوفي اسلوب التكرار بالنداء ، إذ له خصيصة جوهريّة في الشعر والغاية منه تأكيد فداحة المصائب ، فضلاً عن تعلق الشاعر بالمكان الذي رحل عنه العز والعظمة .

يا دار ← بغداد ، الساكنون ← أهلها ، الزمان ← تاريخها العريق

وفي صيغة التكرار والسؤال (أين) يوظف الزمان والمكان أجمل توظيف أي ان شخصيات هذه المدينة كان لهم باع طويل في تاريخ الأمة العربية الإسلامية من خلال الألفاظ - من حيث دلالتها المعجمية - التي تقوم وتدل على الشموخ مضيفاً لها (ال التعريف) التي تسبغ عليها صفة التبجيل والتعظيم ، مثل : (البهاء ، والإعظام ، والإجلال ، والإكرام ، والضياء) لان الأمر مرتبط بوصف الماضي الزاهر المشرق لمدينة بغداد ، التي استدعتها الحوادث المريرة التي مرت عليها والتغيير الذي حدث ببغداد لاسترجاع ذكريات المكان الجميلة ، التي استمرت بزهرها قروناً عديدة ، وفرضت نفسها على الحضارات العالمية ، كما تشير - الألفاظ - إلى هذه المنزلة التي تبوأتها لكونها شاهداً للعصر العباسي .

كما ان توظيف الشاعر لاسلوب الطباق والمقابلة في المعنى بين الماضي والحاضر كان له دوره في اعطاء البعد النفسي والديني ، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار في بلاده ، فلبعدهم أي غيابهم ، قرب الظلم والاستبداد ، ولفقدتهم (أي ذهبوا) ، فُقد الإيمان وتزلزل الإسلام . اي ان الخلافة العربية حافظت على وحدة الأمة الإسلامية ، وعلى نشر الدين الإسلامي واستقراره في البلاد ، وحين رحلوا مات الهدى والإيمان وتزلزل لذلك ركن الاسلام .

ثم يوجه كلامه للمدينة (متى قبلت) من بعدهم من الغزاة الطامعين - ساكنين - دعوت بعدم السقيا ، ان في التفاتة الشاعر هذه والدعاء عليها تجديداً في اسلوب الشاعر والقصيدة ليوحي للمتلقي ان الخراب الذي عم المكان كان بسبب الاعتداء على الارض وسلب حقوق أهلها ، فإذا دخلها الاعداء واستوطنوها لم تعد موطنه ؛ لانها فقدت شرعيّتها بوصفها مدينة عربية اسلامية . وبعد نداء الارض والمكان ينادي أهلها السادات (ياسادتي ، ياغائبين) يشمل النداء الخلفاء والعلماء والفقهاء والعظماء فيفصل حديثه الروحي الشجي ، الفؤاد متشوق لهم ، ودموعه سجام ، أي ان شوقه لهم وبكائه عليهم ملازمان له ملازمة الحب للقلب والدموع للعين .

وأصبحت الأرض لامقام فيها ، فلا تروق للناظرين وللقادمين ، إذ كانت مركز النهوض الفكري بشكل لافت للنظر تجذب إليها الناس للقادم الذي يروم العلم ، والغادي الذي ملأ جعبته بزاز

المعرفة فجغرافية المكان وتاريخه تلهم المخيلة للابداع والتواصل الحضاري ومن هنا تظهر إشارة الشاعر الى (العيون ، الاقدام) وربطه إياها بالدلالة المعرفية .

وحياتكم إني على عهد الهوى باقٍ ولم يخفر لديّ ذمامٌ
فدمي حلالٌ إن أردت سواكم والعيشُ بعدكم عليّ حرامٌ
يا غائبين وفي الضلوع لبعدهم نارٌ لها بين الضلوعِ ضرامٌ
لا كتبكم تأتي ولا أخباركم تروى ولا تدنيكم الأحلامُ
يا ليت شعري كيف حال أحبتي وبأي أرض خيموا وأقاموا
ما لي أنيس غير بيتٍ قاله صبّ رمته من الفراق سهامُ
والله ما اخترتُ الفراقَ وإنما حكمت عليّ بذلك الأيامُ

يوظف الشاعر أسلوب القسم والوفاء بالعهد في لوحته الأخيرة ، لكنه أي عهد، أهو للحبيبة ؟ أم للمدينة التي احتضنته ولأهلها الذين ترعرع بينهم ؟ نلمح من خلال كلماته حب الكوفي لمدينته وأهلها وتقديسه لهما فيقسم بحياتهم انه على عهده ووفائه لامته ، فهو يؤكد أنه باق على حبهم وودهم ، ورفض المصالحة مع الأعداء ومسالمتهم ، ويهدر دمه للغزاة ان أراد غيرهم أهلا وبغداد أرضاً وحياةً . ويكرر نداء الغائبين بعد أن شبت النار في ضلوعه ، لكن لاحياة لمن تنادي ، فيقول :

لا كتبكم تأتي ← دلالة عن العلم والثقافة التي سادت العالم اجمع

لا أخباركم تروى ← دلالة عن أفعالكم وانتصاراتكم وانجازاتكم العظيمة

لا تدنيكم الأحلام ← دلالة عن حلم الإنسان العربي المسلم بالوحدة

فقد أفنتهم الدنيا فبات طريح الأشواق والحزن واللوعة من الفراق ، فحزنه متجدد مما لاقاه من حوادث الزمان وجوره .

وهنا نجد أن الشاعر يلج على فكرة المكان بوصفه موطناً للإنسان من خلال كثرة تساؤلاته بـ (أين) أين اقاموا ؟ وأي بلد اتخذوه موطناً ؟ ولهذا كان حرص الشاعر على مكانه حرصاً في الوقت نفسه على هويته وكيانه " فالمكان دون سواه يثير احساساً ما بالمواطنة واحساساً آخر

بالزمن والمحلية ، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه " ٣٩ . لذا كان أنيسه الوحيد هو التصبر بأقوال المتيمين فعشقه لبلاده هو عشق المحبوب لحبيبه ، وأي عشق اعظم من عشق المكان - الوطن - ، فالإنسان إذا عشق محبوبة له يموت من أجلها فكيف اذا عشق موطننا ؟ فيكرر قسمه انه ما اختار الفراق ، انما كان مجبرا مكرها حكمت عليه الايام بصروفها وحوادثها

تحسر عما أصاب بغداد واهلها

إن لم تقرّح أدمعي أجفاني من بعد بعدكم فما أجفاني^{٤٠}
 إنسان عيني مُدّ تناءت داركم ما راقه نظراً الى إنسان
 يا ليتني قد مُتُّ قبل فراقكم ولساعة التوديع لا أحياني

يستدعي الكوفي المكان في شعره بأسلوب خفي في مقدمة قصيدته ، فقد شكلت بغداد واقعا حسيا يحاول من خلاله أن يستحضر الآلام والويلات التي عاناها ، لان ما آلت اليه المدينة من دمار وتخريب وقتل وتشريد ونهب واستباحة ، دفع كثير من الشعراء الى عدم التصريح بفعل التتار خوفا من بطشهم ، فضلا عن عدم التصريح باسمها - بغداد - كما نجده عند شاعرنا الكوفي ، انما تلميحات وإشارات مغلفة بالبكاء والالام والحسرة على الأوبة .

يستهل الشاعر كعادته بالدموع موظفا الاساليب اللغوية والبلاغية والبديعية ، مثل الشرط والجناس توظيفا رائعا من خلال الموازنة بالمعنى وتقدير حالة الحزن ، ان لم تقرّح الدموع عينيه من كثرة البكاء على الفراق فما أقساه واغلظه ، لأن الدموع تدل على رقة الاحساس والمشاعر ، فهو يخص مقدمة قصيدته بالبكاء على فراق الأوبة فيخاطبها بقلب مكسور والآهات بادية عليه في ألفاظه وكأنه يخاطب معشوقته فقد تمنى الموت قبل الفراق ولا سيما ساعة التوديع أما الألفاظ والتراكيب المستخدمة في هذه اللوحة فيلاحظ فيها الحسرة والألم على الواقع المرير ، مثل : (بعد داركم ، تناءت داركم ، قبل فراقكم ، ساعة التوديع) فهي تعميق للأسى والحزن على حالة المدينة وأهلها . وكان للمحسنات البديعية التي وظفها الشاعر مثل الجناس التام دور في ترسيخ المعنى فضلا عما أحدثه من جرس موسقي ، (أجفاني ، إنسان عيني ، إنسان) حلو السمع .

ما لي وللأيام شتتَ صرفُها ما لي وخالني بلا خِلالِ
 ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيرانِي
 وحياتكم ما حلّها من بعدكم غيرُ البلى والهَدم والنيرانِ
 ولقد قصدتُ الدارَ بعد رحيلكم ووقفتُ فيها وقفة الحيرانِ
 وسألتها لکن بغیر تكلّم فتكلّمتُ لکن بغیر لسانِ
 ناديتها يا دار ماصنع الأولى كانوا هم الأوطار في الأوطانِ
 أين الذين عهدتهم ولعزّهم ذلاً تخرّ معاقداً التيجانِ
 كانوا نجوم من اقتدى فعلیهم يبكي الهدى وشعائر الإيمانِ
 قالت غَدوا لما تبدّد شملهم وتبدّلوا من عزّهم بهوانِ
 أفنتهم غير الحوادث مثلاً أفنت قديماً صاحب الإيوانِ
 لما رأيت الدار بعد فراقهم أضحت معطلة من السُكّانِ
 ما زلت أبكيهم وألثم وحشة لجمالهم مستهدم الأركانِ
 حتى رثي لي كل من لا جدّه وجدي ولا أشجانه أشجاني

أما اللوحة الثانية في القصيدة فهي محاوراة الأرض، يوظف الشاعر فيها أسلوب المجاز لتجسيد المعنى وترسيخه في الأذهان من خلال التشخيص، أبياته عبارة عن محاوراة بين الماضي والحاضر من خلال سلطة الزمان الماضي (المشرق) على المكان الحاضر (المظلم) عن طريق أسلوب الاستفهام الذي يظهر الأسى والتحسر والألم تجاه بغداد (ما لي ، ما للمنازل ، ماصنع الأولى) فهو يلوم الأيام وما أحدثته من تشتيت للاحبة وفراقهم ، ويحاول أن يستفهم من هذه الديار ويتساءل ؟ لماذا أصبحت (لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيرانِي) كناية عن فراقهم وإشارة إلى أن الذي حلّ بالمدينة هو الخراب والدمار وهو فعل الغزاة الذين استوطنوا البلاد. ثم يتوجه إلى الديار بعد رحيل أهلها حائراً ، فيحاول أن يستنطقها ويرفع صوته بالنداء وتنبية المنادى وحمله على الاصغاء ، لكن الشاعر يتجاوز المألوف فينادي غير العاقل ليبوح له بمكنونات نفسه أو ليطلب منه أن يجيب ندائه ، ففي مخيلته أسئلة كثيرة انحبست في صدره كلها تدور حول أهل

هذه المدينة أسياد الدنيا الذين كانوا غايته في الاوطان ، الذين خضعت لهم دول ودانت لهم عبر تاريخهم العريق .

ويشبههم بالنجوم أي الهداة الذين يرشدون الناس الى الطريق الصحيح ، وهنا يستعين بالصورة الحسية البصرية في البناء التصويري الذي يعبر عن خيال الشاعر ويوحى بمشاعره وانفعالاته . ويعتمد الى المجاز في تشخيص (الهدى) وشعائر الايمان في صورة حسية كأنه انسان يبكي فهذا الحزن والأسى ليس على الناس فحسب ، انما لكونهم الهداة على الارض الذين حافظوا على مجد الاسلام وعزته ، لان ما أحاط به الشاعر من أفعال الغزاة الطامعين جعله يشير الى أفعال أهلها وساداتها الذين كانوا منار الاسلام ، ومركز الاشعاع الحضاري . ويقسم ان الذي حلّ بالمدينة هو الدمار والنيران وهو فعل المحتلين .

ثم يأتي الجواب من الأرض : إنهم ذهبوا بعد ان تفرقوا وتحول (عزهم ذلاً) فقد شارك الشاعر المتلقي في التفاعل مع الاحداث من خلال صياغته البديعية بصورة تلقائية في روايته للتاريخ . وثمة إشارة اخرى في ردّه هي (صاحب الايوان) ما الدافع الى ضرب المثل به ؟ أ هي العزة والعظمة التي كانوا يعيشون بها ، أم تلميح الى ان شوكة التتار ستتكسر يوماً مثلما (فني الايوان) اي ان مصيرهم الى زوال .

وفي قوله : (رأيت الدار) الصورة مرئية للشاعر، للحدث وللمكان - بغداد - الذي أخذ بالأفول بعد غروب شمس الدولة العباسية ؛ لذا نجد مشاعره اعمق ، وأكثر تركيزاً في العاطفة المتواجدة في النص، وأكثر حسرة وأكثر بكاء من خلال توظيفه للأفعال الماضية ، مثل (كانوا، اصبحت، غدوا، أفنت ، أضحت) .

أترى تعوّد الدارُ تجمعنا كما كنّا بكلّ مسرّةٍ وتهانِي

.....

هيهات قد عزّ اللقاء وسدّت طرقَ المزارِ طوارقُ الحدّثانِ

ما لي أرَدُّ ناظريّ ولا أرى الـ أحبابَ بينَ جماعةِ الإخوانِ

والهفتي واوحدتي واحيرتي واوحشتي واحرّ قلبي العاني

سرتم فلا سرتِ النسيمُ ولا زها زهرٌ ولا ماستُ غصونُ البانِ

ما لي أنيس بعدكم إلا البكا والنوح والحسرات والأحزان
يا ليت شعري أين سارت عيسكم أم أين موطنكم من البلدان

عودة على بدء (الحيرة والدموع)، ان قسوة الأحداث كانت تدفع الشاعر الى الاستمرار بالبكاء لأن رؤية الشاعر للمكان كانت رؤية حقيقة فقد أضى خاليا من أهله، فهو يُمني نفسه بعودة الشمل من خلال اسلوب الاستفهام (أ ترى) أي ان الشاخص الحضاري - بغداد - تحاول اثبات تاريخها العريق والعودة كما كانت، لانها تريد السعادة للناس، فالتقاؤل موجود في نفس الشاعر التكلّي التي فقدت الأمل في الوصول الى غايتها بسبب الاحداث، فقد بعدو وعز عليه اللقاء بهم بعد قطع الطرق عن الزائرين، فعينه لا ترى احداً من أحبائه من بين جماعة الناس. ثم يناجي قلبه المكلوم بحسرة وألم (وا لهفتي،). إن حضور ضمير المتكلم بشكل لافت للنظر يدل على الألم الكبير الذي يقاسيه الكوفي وعلى العلاقة الحميمة بينه وبين المكان واهله، فضلا عن انها دعوة ونداء للتوحد، يشدّه التاريخ للصحوّة من هذا الحزن في مواجهة الاحتلال الطامع. ويكرر الشاعر فكرة الدعاء على الارض، فهو يتمنى ان لا يهب النسيم بعدهم، ولا تعود الارض بالخير عليهم، لان ريح النسيم تقرب الحبيب، وهم الان غائبون عنه، ولم يبق له الا النوح والحسرات والأحزان. ويختم الشاعر حديثه من خلال تأكيد فكرة المكان - الوطن -، ويسأل أين أنتم؟ ما موطنكم الحالي، وفي أي بلد؟ حسرات يطلقها الكوفي بعد ان كانوا في بغداد بلد العز والكرامة.

آثار النكبة في بغداد

بانوا ولي أدمع في الخدّ تشّتبكُ ولوعةٌ في مجال الصدرِ تعترُكُ^١
بالرُغم لا بالرضى مني فراقهم ساروا ولم أدرِ أي الارض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم أشـررُ عليّ فأن الرأي مشـترُكُ
يعوقني عن مُراذي ما بليتُ به كما يعوقُ جناحي طائر شـركُ
أروم صبراً وقلبي لا يطاوعني وكيف ينهضُ من قد خانَه الـوركُ
ان كنتَ فاقد الفِ نَح عليه معي فاننا كلنا في النـوح نشـترُكُ

ونقف عند رائعته الثالثة ، فنجد بكاء الشاعر وهيمته عندما رأى خراب بغداد ورحيل أهلها عنها ، فقد شغلت المأساة نفس الكوفي أكثر فأكثر عما سواها ، فالنكبة حقيقة واقعة أياً كان السبب والمسبب ، وهي بحر غاص فيه الشاعر بصورها المأساوية التي امتلأت بالحيرة والألم ؛ لذا تعتمد الشاعر افتتاح قصيدته بالزمن الماضي (بانوا ، ثم ساروا ، وسلكوا) في روايته للحدث ، ودليل على تقلبات الايام التي مرت بهم ، ولا حيلة له الا الدموع التي تتزاحم على خده لكثرتها ، ولوعة تهيج في صدره ألما ، وفي توظيفه للفعل المضارع (تشتبك ، تعترك ، نشترك) دلالة على تجدد الحدث واستمراره بفعل الحزن . ثم يطلب من صاحبيه - مثل عادة الشعراء الجاهليين في الوقوف على الدار القفر- مشاورته ماذا يفعل ، لأن الفقد والرتاء واحد باختلاف المرثي . أفي الصبر عزاء له ؟ لا ، فقلبه لا يقوى على ذلك . وفي تقرير حالة الشاعر النفسية الحزينة يعتمد الى اسلوب التشبيه القريب من الأذهان البعيد في المعنى والمغزى ، فهو يعكس حاله وحال الأمة التي وقفت عاجزة مذهولة أمام فداحة المصاب ، كأنهم مقيدون كما قيد الطائر الذي وقع في المصيدة ، أي ان الأمة وقعت في شرك الحقد والطمع والاحتلال .

يا نكبةً ما نجا من صرفها أحدٌ من الورى فاستوى المملوكُ والملكُ
تَمَكَّنْتُ بعد عزٍّ في أحببتنا أيدي الأعادي فما أبقيوا ولا تركوا
ربُّ الهداية أضحى بعد بعدهم معطلاً ودمُ الاسلام ينسفك
والشركُ منجبر والملكُ منكسر والحقُ مستتر والسترُ منه تك
ذاك السوادُ شباب الدهر كان وقد شاب الزمان ودال الفاحم الحلُّ
كانوا وكانت حماة العز تحرسهم من الأعادي فلما نكبوا فتكوا

ثم يوجه نداءه (يانكبة) ، انما هو نداء وتنبيه لفعالها القبيح ، وجذب التوجه نحو دلالتها وأبعادها النفسية المؤثرة والمؤلمة ، فضلا عن انها تثير الذعر والخوف من صروفها وأهوالها التي لم ينج من فعالها أحد. أختزن الشاعر بهذا المدلول (النكبة) ضياع مجد الحضارة العربية والاسلامية بقوله : (فما أبقيوا ولا تركوا) ففيها إشارة ضمنية الى ما أحدثه التتار من أفعال بشعة وشنيعة بأهل بغداد .

وبزوال عز الخلافة تعطلت شعائر الهدى وأصبح الإسلام مذبوها ، منسفك الدم فالحالة التي وصلت إليها الأمة كان بسبب هذه الهجمة المغولية التي أراقت دماء المسلمين بلا ذنب .

وقد أوجز الشاعر المأساة الكبرى بفعل النكبة والحالة التي خلفتها ، موظفا الفواصل الموسيقية لما لها من وقع خاص في إثارة انفعال المتلقي ، ولتقرير حقيقة مصيرية عامة ، يقول :

الشرك منجبر ————— إشارة الى سيطرة الوثنيين وضرب الأمة الإسلامية

الملك منكسر ————— إشارة الى زوال السيادة والسلطة العربية

الحق مسـتـتر ————— أي ظهر الباطل والفساد

الستر منهتك ————— أي هتكوا الأعراض واستباححت المدينة

ثم يصف السواد بـ (شباب الدهر) يُطلق السواد على شدة الخضرة في ارض الرافدين ، وهذا دلالة على الحياة الزاهية التي عاشوها في أكناف الخلافة العربية الاسلامية ، أما في توظيفه للفظ (الدهر) - قرون عديدة - ، فتعني انها كانت - بغداد - مشرقة بالعلم والمعرفة . واما (شباب الزمان) فإشارة الى ان المدينة فقدت نضارة الحياة والعيش الرغيد ، وعم الظلام والسواد على أرض السواد بعد سيطرة الغزاة الطامعين . ونستمد من قوله إن سيادة العزة على أرض السواد استمرت قرونا توالى عليها الحضارات والاجيال ، لكن الظلام الذي حل بهم زمنا معيناً يزول بزواله . وفي إشارة الزمن الماضي (كانوا) دلالة على المكانة التي ارتبطت بهذه المدينة عزيزة الجانب ، قوية بقوة سلطانها .

أَيْنَ الَّذِينَ عَلَى كُلِّ الْوَرَى حَكَمُوا أَيْنَ الَّذِينَ اقْتَتُوا أَيْنَ الَّذِي مَلَكَوا
وَقَفْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي الدَّارِ أَسْأَلُهَا عَنْهُمْ وَعَمَّا حَوَّاهَا فِيهَا وَمَا مَلَكَوا
أَجَابَنِي الطُّلُّ الْبَالِي وَرَسْمُهُمُ الْخَالِي نَعَمْ هَا هُنَا كَانُوا وَقَدْ هَلَكُوا
لَا تَحْسِبُوا الدَّمَاعَ مَاءً فِي الْخُدُودِ جَرَى وَأِنَّمَا هِيَ رُوحُ الصَّبِّ تَنْسَبُكُ

وفي ختام قصيدته يبين أثر الفاجعة التي حولت المدينة الى طلل دارس، فأهوال النكبة غيرت معالم المدينة وحولتها الى خراب، فيسأل الشاعر عن الدار ويحاول ان يستنطقها عما حل بهذا المكان وعن حكامها ؟ وفي تكرار السؤال بـ (اين)، تجسيد لعمق الأسى والأذى الذي أصاب المدينة ، فضلا عن إلحاحه على فكرة المكان ، فيجيبه الطلل البالي - المدينة - بحقيقة ماثلة شخصها ،(ها هنا كانوا وقد هلكوا)، اي زوال العظمة والقوة والسلطة من هذا المكان .

ويجدد الحديث بحرقه ولوعة ليس بفعل الجوارح -الدموع الظاهرة- انما حرقه في القلب والوجدان ، فالسبك انما يكون للاشياء المادية ، وهنا يوظفها للاشياء المعنوية وهي روحه التي تكاد تذوب من شدة اللوعة .

ألم الفراق

أحبابُ قلبي نأوا فالدَّمْعُ يسْتَبِقُ وكم سألتهم رفقا فما رَفَقُوا^٢
ضاقَتْ بي الأرضُ مُذْ جَدَّتْ رِكائِبُهُمْ وأظلم الجَوُّ في عيني والأفُقُ
بانُوا فجفني مَقْرُوحٌ ودمعي مسفوحٌ وقلبي مجروحٌ ومَحْتَرَقُ
والله ما دارَ هذا البين في خلدي ولا ظنَّنتُ بأنَّ قُطْنا فَنَفَرَقُ
إن الذين بكاساتِ المنى شربوا صبحا فمصططحٍ منها ومغتبِقُ
بيناهم يشربون الراح ما شَعَرُوا الا وهم ببقايا الكأسِ قد شَرَقُوا

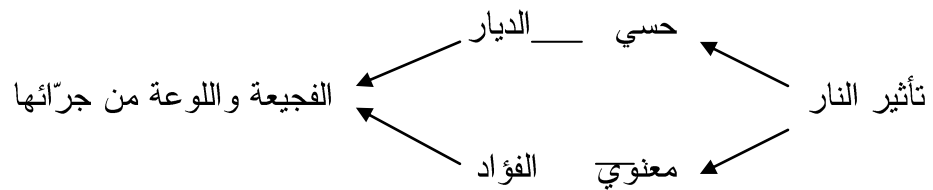
إن الحنين الجارف تجاه المكان - الذي تحول الى خراب - يكاد يشكل صدمة عند الشاعر ، تطرأ هذه الفكرة كلما حنَّ الى المكان الذي عاش فيه ، أو قد يكون الحنين الدائم والمتجدد للمدينة العظيمة ، أو هي الالهة العارمة للمكان الدافئ الذي جمع به أهله وأصحابه ؛ لذا نرى الشاعر يستهل أبياته بقوله (أحباب قلبي نأوا) الذين فارقهم مدة من الزمن فدموعه تتساق في الجريان لبعد الاحباب . هذا الاحساس والشعور بالفرقة والتشتت تجعلان الشاعر يعبر عن مكونات نفسه بظلمة الكون الذي يدل على الحزن والألم ، فالظلمة والبعد كلاهما ينتجان الحزن . ويعرج الشاعر على ذكر أيام العز والفرح وهم يعيشون في كنف السعادة والرخاء ، وفجأة تداهمهم الحوادث ، فذاقوا حلاوة الدنيا ومرها من كأس واحد أوله ترف ونعيم وآخره الى زوال .

ضاقَتْ منازلنا من أجلِ بُعْدِهِمْ كأنَّما دُورنا من بعدهم حُلِقُ
يا سادةً تركوني هائما قلقا ولي دموعٌ على الخدينِ تتدفقُ
وحقَّكم ما حلا لي بعدَ فرقتكم عيشٌ ولا راقٍ عندي منزلٌ أنقُ

دياركم وفؤادي بعد بينكم كل غدا منهما بالنار يترق
 دهري وصبري وقلبي والتجلد خا نوني فمن بعدهم قل لي بمن أثق
 واعجب لدمع ماء لي به حرق ملء الفؤاد ونار لي بها غرق
 إن أخبروكم باني مذ عدتكم لم تعرف النوم أجفاني فقد صدقوا
 وما انتفاعي بطرف لا يشاهدكم دعه يذب البكا والدمع والارق

يقرر الشاعر حقيقة ألم الغياب المستمدة من واقع الحياة نفسها، فان فراق الاحباب يولد شعورا بضيق المكان والمنازل ، فيعمد الى التشبيه ليجسد هول المصيبة التي حلت بدور الامة جميعا . ويلج على فكرة البعد من خلال تكرار الفعل (ضاقت الارض، وضاقت منازلنا) لتأكيد معنى الفراق وترسيخه في المتلقي المتفاعل مع الحدث ، فلا يطيب العيش في مكان اخر غيره ، فهو يخصص مدينته دون غيرها (منازلنا) ، لانها أم الدنيا وسيدتها ، وضالة المؤمن ومنهل العلم ، ثم يقول (منزل) بصيغة الأفراد أي منزل كان ، فهذا الانتقال من ضمير الجماعة الى المتكلم للفعل نفسه هو تجسيد للمعنى بشموليته .

ويجمع الشاعر هنا بين الصور الحسية (دياركم) والذهنية (فؤادي) بفعل واحد هو النار ليجسد هول الفاجعة التي نزلت به ، فالنار التي أحرقت الديار وخربتها هي النار عينها التي أشعلت اللوعة في صدره .



والخيانة انما تكون من شخص ما ، لكن حينما يجسدها في صورة ذهنية ستثير لدى المتلقي الدهشة والخيال ومحاولة منه ربط دلالتها على انه لا يأمن تقلبات الزمن وحوادثه . كما يظهر التعجب لدموعه التي أحرقت عينه وقلبه وغرق ببحر الهموم ، لذا حين يريد ان يعزي نفسه ويصبرها بعد ان خانته الدهر والصبر، لم يجد ملجأ الا التأسي بذكر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فيعطر كلامه بذكر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بعد هذه اللوعة والحزن

والهيام ، ولم يجد ملاذاً يستجير به غيره ليطمئن نفسه المفجوعة ، لانه امل الامة ، فلا غرو في ان يلجأ اليه في أحلك الظروف وأشدّها من تاريخ العروبة والاسلام ، يقول :

جارَ الزمانُ على قلبي الحزين ولولا مدحي المصطفى لم يبقَ لي رَمَقُ
المُجْتَبَى خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ ومن تَكَمَّلَ فِيهِ الْخَلْقُ وَالْخُلُقُ
صلى الإله على المختارِ ما طلعتُ شمسٌ وأشرقَ نجمٌ أو دجا غَسَقُ

وثمة ظاهرة اخرى نلمحها في قوله (مدحي المصطفى) هي شيوع ظاهرة المدائح النبوية الى جانب رثاء المدن اللتين ظهرتتا بشكل جلي بسبب الاحداث والظروف التي مروا بها ، فوجود شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دعوة للعودة الى صفاء الروح والنبع الصافي للاسلام ، وللتصبر على محن الزمان ، وعزاء للنفس ، لاسيما اذا علمنا اننا لم نقرأ للشاعر الكوفي مدائح نبوية ذكرتها الكتب، فربما تكون هذه إشارة من الشاعر نفسه الى التوجه نحو الأنموذج المثالي للشخصية الإسلامية ، والتمسك بمبادئ الدين الحنيف والالتزام بها ، بعد نقشي الطمع والاحتلال والخراب .

أين موطن الأحباب ؟

أَيْنَ سَارَتْ تَرَى حِدَاةَ الْعَيْسِ بَحْبِيبِي وَوَاحِدِي وَانِيسِي
حِينَ سَارُوا حَثَّوْا الرِّكَابَ وَلَمْ يَلِ وَوَا عَلَى رَاحِلَةٍ وَلَا تَعْرِيسِ
جَرَّعُونِي مِنَ الْفِرَاقِ كَوُوسَا مَرَّةً مَا أَمَرَهَا مِنْ كَوُوسِ
فَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ عَزِّ بَذَلٍ وَتَبَدَّلَتْ مِنْ نَعِيمٍ بِبُؤْسِ
وَشَرَابِي دَمْعِي وَزَادِي حُزْنِي وَسَقَامِي مِنْ بَعْدِهِمْ مَلْبُوسِي
أَنَا أَشْكُو أَمْرَاضَ حُزْنٍ وَشَوْقٍ كُلَّ عِنَاهَا عِلَاجَ جَالِينُوسِ
يَا غَصُونَا غَرَسْتُهَا فِي فَوَادِي وَبِمَاءِ الْمُنَى سَقَيْتُ غُرُوسِي
عِنْدَمَا رُمْتُ أَنْ أُنَالَ جَنَاهَا رُمِيتُ بِالذَّبِّ وَلِوَلِّ التَّيْبِيسِ

كُنْتُمْ لِلْقُلُوبِ رُوحاً وَلِلْأُوطَانِ رُوحاً وَرَاحَةً لِلنَفْسِ
وَمِغَانٍ كَانَتْ بِكُمْ فِرَحَاتٍ بَدَلْتُ بَعْدَ بَشَرِهَا بِالْعَبُوسِ
ثُمَّ عَاشَتْ أَيْدِي صُرُوفِ اللَّيَالِي فِي الْجَنَابِ الْمَمْنَعِ الْمَحْرُوسِ

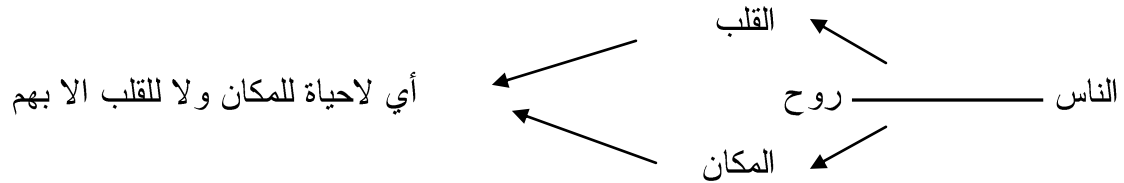
اهتم الشعراء بالمكان وكان ارتباطهم به قويا ، فالمكان يتخذ بعدا نفسيا فيكون محور الاهتمام والعناية عند توظيفه بالشعر ، فالقصيدة هنا تثير في نفسية الشاعر قلقا موجعا وجرحا عميقا ، فنجد في هذه الابيات ذروة التوتر والحيرة من خلال استهلالها بالسؤال (أين) والتعجب من حال الدنيا .

فقد تجرع الشاعر مرارة الفراق والرحيل أ بفعل الطبيعة ؟ أم الدافع أكبر من ذلك ؟
فالإشارة الى ان الرحيل (ساروا) كانت بسبب تقلبات الأيام التي مرت عليهم أجبرتهم على ترك المكان، وأي مكان الذي أصبح ذلا بعد عز، والآن في بؤس بعد نعيم . وقد تداخلت علاقات المكان والزمان في جدلية لا تنتهي من التأثير والتأثير. رأى الكوفي فعل الزمن فاذا بموقفه تبدو الحياة وقد أصبحت ذلا وبؤسا - الزمن الحاضر- إشارة الى آثارهم المحوثة ، بعد ان كانت عزا ونعيما - الزمن الماضي - ، إشارة الى مركزهم المرموق .

فالشاعر يعمل دائما على تركيز افكاره واوصافه وتكثيفها فهو يشبه شيئا ما بشيء اخر في صورة جديدة ، مقتبسة من واقع الحياة وتجربته التي تكشف عن دلالات الحزن ، لاسيما ان المشاهد حقيقة مرئية للشاعر فدمعه شرابه ، وحزنه طعامه ، ولباسه السقم ، أفصحت الصورة للمتلقي عن مدى مرارة الفراق وتأثيره فيه، واصبح في حالة يعجز عنها حتى علاج جالينوس، ان استدعاءه لتلك الشخصية بوصفه رمزا لكل داء يعكس بعدا ثقافيا للشاعر نفسه ، فضلا عن أهمية الدال في توظيفه في دلالة معنوية ، وفي تقرير حالة الحزن التي وصل إليها في الأذهان . ويسعى الشاعر إلى رسم صورة وارفة الظلال عن قومه واحبته فيرتقي التصوير الذي يستطيع ان يتواصل مع حواس الانسان في رسم صورة ذهنية ، مما يعمق الفكرة والعاطفة في نفس المتلقي .

كان خيال الشاعر قد اختزن صورة الاغصان وسقاها بالماء للمحافظة عليها حتى يستلذ بثمرها الناضج ، فرسم هذه الصورة التي تكاد تشكل لوحة فنية بالوانها وظلالها ، عندما أدرك حاجته

الى الأهل والأحبة الأعزاء الكرام لكنه يصاب بخيبة الامل ، لانها ذبلت ويبست ، فالزمان لا يبقى شيئاً على حاله لأنه متقلب يأخذ من يشاء ويترك من يشاء فذبول الزرع إشارة إلى فقدان الروح والحياة على الأرض فيتألم لهذا المصاب، لأنهم وهبوه الحياة .



كما ان الصورة التي يعطيها الشاعر الكوفي لحاضرة الخلافة العباسية صورة مشرقة ، بوصفها راحة للنفوس الآمنة المطمئنة ، فقد كانت بغداد موطن عز وعلامة دالة على الرقي الحضاري ، فكانت تحاول على الدوام تحقيق الرفاهية والسعادة للناس ، لكن طغاتها جلبوا لها التعاسة واللوعة والحزن فعاثوا خرابا في الديار الحصينة بأهلها .

يا ديار الأحباب ما صنعَ الدهرُ المعادي بربْعِكِ المأنوسِ
 أينَ تلكَ الوجْوهُ فيكِ منيراتٌ حسانٌ مضيئةٌ كالشمسِ
 كلُّ وجهٍ كالشمسِ لكن سَرى بين أوجِ سعد الى حضيضِ النحوسِ
 قد وقفنا في الدارِ سكرى ولكن سكر حزنٍ لا سُكرة الخندريسِ
 حين أضحت عواطلا بعدما كا نت تجلّى في زينة كالعروسِ
 ما انتفاعي من بعدهم بوقوفي في محلٍ بالٍ ورسم دريسِ

هذا الحزن المتكرر والمزير عند الشاعر لا ينفك من العودة الى ذكر الديار وندائها ، فمرارة الفراق كانت بسبب عوادي الزمان وحوادثه التي جرت على المكان لا بفعل الطبيعة . وهنا يأتي جواب عن السؤال الذي طرحناه انفا . فالشاعر الكوفي يصور حزنه العميق وألمه الكبير ، بما يعانيه المكان من تفرق وطمع من الاعداء ، فنجد ذاكرته تحمل صورة مشرقة ومضيئة لماضي الخلافة العباسية ، بينما واقع الحال يكشف لنا عن عمق المأساة لما يبصره على ارض الواقع الذي يجسد وجع الايام ، فيرسم صورة تقوم على التشخيص اذ شبه المكان بالكائن الحي

(العروس) في زينتها ، وذلك ليسبغ الحياة والبهجة على تلك المدينة ، التي جعلت الشاعر يقف موقف المخمور من نشوة الحزن لا من نشوة الانتعاش . ويسجل الشاعر حضوره في المكان ، لكن ما فائدة الوقوف في المكان القفر بعد رحيل أحبته ، استفهام يوجهه الشاعر لكل من فقد مدينته لأنه يعني فقدان الحياة .

الخاتمة

- لكل مقال مقام ، ولكل نهاية ختام وختام قولنا نعرض فيه أهم النتائج التي توصل إليها البحث :
- ١- تقوم قصائد الكوفي على جدلية الغياب والحضور ، حضور الشاعر في وصف حال بغداد بعد الخراب ، وغياب أهلها ، وعلى حضور الزمن الماضي في مقابل الحاضر المأساوي للمكان
 - ٢- إن الشعراء كان لهم دور مهم في التعبير عن ألم المأساة والحدث الذي نزل ببغداد ، وبالحكم العباسي ، إذ إن أغلب قصائد الشاعر الكوفي كانت تذكر بني العباس بخير وتتضامن معهم في المحنة ، وتحن إلى زمنهم ، وتبكي على من مضى منهم .
 - ٣- إن نكبة بغداد تعبر عن قصة عشق الماضي (التراث والأصالة) بكل ملامحه ، وهو عشق يجعل الشاعر يدفق المزن هطلا حينما يفارق المكان ، فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه ، وعلاقته به هي علاقة التجاذب الروحي ، وحرصه على مكانه واعتزازه به حرصا على هويته وكيانه والإنسان بدون مكان إنسان بدون هوية .
 - ٤- إن موقف الشاعر تجاه المكان يمثل موقفا مباشرا غير مبطن يحمل مأساة إنسانية ، لا موقفا شخصيا ، لذا جاء شعره صادقا في تصوير الحياة وأميناً في نقل الوقائع ، لذا كان شعره مادة ثقافية غزيرة لحقبة زمنية تؤكد شدة أسى الشاعر ولوعته وحسرتة على ما مضى من أيام طويت صفحاتها وبقيت نارها مستعرة مهما بعد الزمن .
 - ٥- الشاعر الكوفي أراد أن يضع القارئ أمام رؤية تاريخية وصفية ، فقد حدد الجزء التاريخي من قصائده من خلال تأطيرها بمكان محدد هو (بغداد) ، ليس هذا فحسب إنما حددها فنيا أيضا من خلال لغته واسلوبه .
 - ٦- إن القصائد من حيث بنيتها العامة تحمل فكرا واحدا هو رثاء للمجد الذي استبيح، تكتنفها وحدة موضوعية وشعور واحد، فعاطفة الشاعر تجاه بغداد صادقة ، ونكتشف الصدق من

خلال ظهور ضمير المتكلم الذي يعطي النص حميمية أكبر وكان يتخذ من البكاء رداء يعبر عن هذا الشعور.

٧- اعتمد في مقدمات قصائده أسلوب الشعراء المتيمن الذين أضناهم العشق من ألم وتحسر وتوجع على فراق الأحباب وتحول المكان الى طلل دارس ، فقد وظف الشاعر مفرداته فيها خير توظيف ليؤكد ان القصيدة ترمز الى تحولات في مصير الانسان بسبب حوادث الزمان

٨- كانت ألفاظ الشاعر وتراكيبه مناسبة وموحية للمضمون ويلاحظ عليها الحزن ومرارة الفراق من الواقع الأليم ، فضلا عن الالاحاح على الذاكرة لتذكر ماضي بغداد المشرق في استخدامه الألفاظ التي تدل على العظمة والرفعة ، بوصفها نوعا من السلوة لنفسه المكلمة .

٩- يكثر الشاعر في قصائده من أسلوب الاستفهام بـ (ما) ، والسؤال بـ (أين) ، والتكرار لـ (الدار) ، والتمني بـ (ليت) وهو أسلوب اتبعه الكوفي غالبا لجلب الانتباه إلى موضوعه وتأكيده ، والسير فيه .

١٠- تميز الشاعر باستخدامه للمحسنات البديعية التي كانت تأتي أحيانا لتزيين الكلام أو تأتي بصورة عفوية أحيانا أخرى ، فكما تبين ومن خلال قراءة شعره ان الشاعر أخذ على عاتقه رواية التاريخ وتسجيل وقائعه وفي هذا الموضوع تأتي محسناته لتحقيق الموازنة بين طرفين فضلا عن ترسيخ المعنى وتأكيده .

١١- أكثر الشاعر من المجاز من تشبيه واستعارة وكناية في النص الشعري وكان القصد منها شرح المعنى وتوضيحه ، أو المبالغة في تأكيده من حيث التجسيد والتشخيص في المعنويات، فضلا عن إثارة الخيال والتفاعل مع الأحداث .

- ^١- ينظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، مؤسسة الخانجي بمصر ، والمؤسسة العربية ببغداد ، مطبعة السعادة ، ١٩٣١ ، ج ١ : ٢٥
- ^٢- ينظر : العراق في التاريخ ، صالح احمد العلي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣ : ص ٣٦٣
- ^٣- ينظر : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، لابن بكري الاندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف بمصر ، ط ١ ، ١٩٤٥ : ص ٢٦١
- ^٤- ينظر : مرصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، صفي الدين البغدادي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٤ ، ج ١ : ٢٠٩
- ^٥- ينظر : العراق في التاريخ ، صالح احمد العلي : ص ٣٧٦
- ^٦- المصدر نفسه : ص ٣٦٣
- ^٧- ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٩٠٦ ، ج ٢ : ٢٣١
- ^٨- ينظر : معجم ما استعجم ، ابن بكري ، ج ١ : ٢٦٢
- ^٩- ينظر : تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ط ٣ ، ١٩٦٤ : ص ٢٠٨
- ^{١٠}- ينظر : البلدان ، اليعقوبي ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ٣ ، ١٩٥٧ : ص ٣
- ^{١١}- ينظر : تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : ج ١ : ٤
- ^{١٢}- العراق في التاريخ ، صالح احمد العلي : ص ٣٧١
- ^{١٣}- قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ : ص ٢٤١
- ^{١٤}- دلالة المكان في الخطاب الشعري المعاصر ، دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان ، عفاف قادة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ : ص ١٩
- ^{١٥}- ينظر : شعرية المكان في الرواية الجديدة ، خالد حسين حسين ، مؤسسة اليمان ، الرياض ، ١٤٢١ هـ : ص ٧٠ وما بعدها
- ^{١٦}- ينظر : فنون الادب العربي ، الرثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٥٥ ، فقد فصل الحديث فيها .
- ^{١٧}- المصدر نفسه : ص ٤٠
- ^{١٨}- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٧
- ^{١٩}- ينظر : العصر العباسي الاول ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ : ص ١٧٤ ، وينظر :
- العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٧٥ : ص ٢١٧

- ٢٠- في الأدب العباسي ، الرؤية والفن ، عز الدين اسماعيل ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ : ص ٣٦٦
- ٢١- أدب النكبة في التراث العربي ، محمد حمدان ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ : ص ١٣
- ٢٢- ينظر : تاريخ الطبري ، ابن جرير الطبري ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦ ، ج ٨ : ٤٤٥
- ٢٣- ديوان الخريمي ، جمع وتحقيق ، علي جواد الطاهر ، ومحمد جبار المعبيد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧١ : ص ٢٧
- ٢٤- ينظر : تاريخ الطبري ، ابن جرير الطبري ، ج ٩ : ٢٨٢ وما بعدها . تحدث فيها عن وقوع الفتنة بين اهلها وجند السلطان
- ٢٥- أدب النكبة في التراث العربي ، محمد حمدان : ص ١٢٥
- ٢٦- ينظر : الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، تحقيق علي شبري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج ٧ : ٧٤ وما بعدها
- ٢٧- ينظر : ادب النكبة في التراث العربي ، محمد حمدان ، فقد استوفى الباحث اسباب النكبات والاحداث السياسية
- والشعرية التي رافقتها في العصر العباسي ص ٧٩ ، ١٢٤ ، ١٣٤
- ٢٨- ينظر : العبر في خبر من غبر ، الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ج ٣ : ٢٧٨
- ٢٩- ينظر : موسوعة العراق بين احتلالين ، عباس العزوي ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، ٢٠٠٤ : م ١ ص ١٩٨ ، وادب العصور المتأخرة ، ناظم رشيد ، منشورات مكتبة بسام ، الموصل ، العراق ، ١٩٨٥ : ٧٢
- * يبدو ان مولد الشاعر كان في الكوفة ، لانه لقب بالكوفي وهي احدى مدن العراق ، فقد كانت ذا مركز ادبي وسياسي مرموق ، لكن بغداد اجتذبت الشاعر وعاش فيها لانها موطن العلم والمعرفة ، لذلك جاءت اغلب اشعاره معبرة عن انفعالات متأججة في صدره حين وقف على آثارها متسائلا عما حل بها وباهلها بعد غياب .
- ٣٠- العبر في خبر من غبر ، الحافظ الذهبي ، ج ٣ : ٢٧٨
- ٣١- ينظر : الحوادث الجامعة (لمؤلف من القرن الثامن الهجري) المنسوب لابن الفوطي ، حققه بشار عواد معروف
- ، عماد عبد السلام ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ ، ١٩٩٧ : ص ٤٢٧ ، وتاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام
- ، حققه بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٣ : ج ١٥ ص ٢٩٧
- ٣٢- ينظر : في ادب العصور المتأخرة ، ناظم رشيد : ص ٧١
- ٣٣- ينظر : تقويم جديد لدور الادب العربي في العصور المتأخرة ، نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد : مج ٧ ، ع ٢ ، ١٩٧٨ ، ص ١٨٩
- ٣٤- ينظر : الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ ، محمد حسن مجيد ، مجلة آداب المستنصرية : ع ٤ ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٤

- ^{٣٥} - ينظر : عيون التواريخ ، محمد بن شاکر الکتبی ، تحقیق فیصل السامر ، نبيلة عبد المنعم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ج ٢٠ : ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ ، وشذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن عماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٥ : ٢٧١ - ٢٧٢
- ^{٣٦} - ينظر : في أدب اعصور المتأخرة ، ناظم رشيد : ص ٧٢
- ^{٣٧} - ينظر : اشكالية المكان في النص الادبي ، دراسات نقدية ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ : ص ٥٥
- ^{٣٨} - فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبی ، تحقیق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، م ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣
- ^{٣٩} - الرواية والمكان ، دراسة تاريخية ، حسين النشاي ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٤ : ص ٥
- ^{٤٠} - فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبی ، م ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٥
- ^{٤١} - عيون التواريخ ، محمد بن شاکر الکتبی ، ج ٢٠ : ١٣٧ ، وينظر : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، ابن الفوطي : ٣٦٣
- ^{٤٢} - عيون التواريخ ، محمد بن شاکر الکتبی ، م ٢٠ : ١٣٩ - ١٤٠

Baghdad identity of the place when Shams al-ddin Kufi (675)A.H***D. Taghreed Adnan Mahmoud al-Rubaie******IRAQ - Baghdad University / College of Education Science Pure - Ibn al-Haytham*****Abstract**

We find in our poetic created it poets experiment lattice took place with life, emotional, social and political expressed concerns of the people, including the lament cities, especially Baghdad cradle of science and literature, was not Baghdad just a name for an Arab city, but is inventory the cultural and historical excreted civilizations Assyrian and Akkadian, Babylonian. Was the name and what still has historical significance civilized, cultural pillar around which the Arab culture.

Baghdad haunt people associated stigmatized referred to the feelings to meaningfully lived in the hearts of many of them, sadness kinder on the surface of the feelings of the people in Baghdad was embodies the natural state of the relationship of love between man and place all its features. Nostalgia to Baghdad is the nostalgia of the soul to the place, the nostalgia of Baghdad to the soul. Is that the soul and the mix, and make place of Baghdad, a symbol of advancement and the return of life.

Became the city entity has a meaning and a presence in the souls in general and especially poets who crossed her photographs honest and bright pages overflowing sorrow and pain express sincerity suffering, was chosen poet Shams al- ddin Kufi what expresses his poet for the event city when enters the invaders and do what they do, as well as their poems express an important era passed by the Islamic Arab state, and a renaissance of poetry; counting his poet and a historical document, and an important source of the seventh century of migration, wept Abbasid state, and the stricken city. Moreover it is one of the finest that has been said in Arabic poetry in the lament of Baghdad to study and analysis of this vibrant city where greed of the invaders, the city that known knowledge and glory not deserve?